ديوان الوزير

القسم الثاني

تأليف

د.دومينيك سورديل

D.Dominique SOURDEL

ترجمة

د. طاهر حجار

معهد اللغة والأدب العربي

جامعة الجزائر

ملخص ما نشر في القسم الأول.

تناول القسم الأول من هذه الدراسة في فصله الأول تكوين الوزراء الإداري والعلمي والثقافي إذ أن أغلبهم كانوا من فئة الكتاب، وقد صار للكتابة في ذلك الوقت قواعد ومقاييس وأنظمة ألفت فيها كتب كثيرة تبّين الصفات التي يجب توفرها فيمن يعد نفسه لذلك. وبينت الدراسة أنهم كانوا يختارون- إلاّ فيما ندر-من وَسط ضيق هو فئة الكتاب وأبنائهم حتى تكوّنت سلالات وزارية كالبرامكة وبني وهب وبني الفرات وبني مخلد وآل الخاقاني وآل الخصيبي الخ... وكان تكوين الوزراء يختلط بتكوين الكتاب متضمنا النشاطات المختلفة التي يقوم بها عمال المكاتب البغدادية.

وتناول الفصل الثاني منها وظيفة الوزير الإدارية المختلفة التي كانت تنضوي تحتها كل الدواوين، كديوان الجند وديوان الخراج وديوان المظالم الخ...

وأما الفصل الثالث منها فقد خصّص لمسؤوليات الوزير الحكومية بوصفه مساعدا مقرّبا من الخليفة الأمر الذي أعطاه صلاحيات معترفا بها صار ظهورها مطردا بإستمرار.

أما القسم الثاني من هذه الدراسة فقد خصّص لمكانة الوزير داخل نظام البلاط.

المترجم

ديوان الوزير

القسم الثاني

تأليف

د.دومينيك سورديل

D.Dominique SOURDEL

ترجمة

د. طاهر حجار

معهد اللغة والأدب العربي

جامعة الجزائر

مكانة الوزير

كان للوظائف الإدارية والمسؤوليات الحكومية التي تولاها الوزير رتبة شرفية تناسبها، وهي تبين أهمية الدور الذي كانت تقوم به هذه الشخصية، وأن لم تكن دائما مرتبطة بها.

وعلى الرغم من أن المؤرخين يذكرون، في مناسبات كثيرة، وجود هذه المرتبة المتمثلة في التسليم عليه بإسم الوزير، والحضور إلى جنب الخليفة في جلسات الإستقبال أو في المواكب الرسمية،[1] فإن الرتب الشرفية والمسؤوليات كان بالإمكان فصلهما عن بعضهما البعض أحيانا واعطاؤهما لشخصيات مختلفة [2] ولم يكن في الزمان الأول على الأقل لعلامات الإحترام التي يحظى بها مساعد الخليفة شيء ثابت أبدا، إذ لابد من إنتظار مرحلة إزدهار الوزارة لنرى صاحبها يحتل ضمن الحاشية وفي المجتمع مركزا موافقا للتطور الذي عرفته مراسيم البلاط. لقد أخذ حجم الحاشية بالفعل، وإبتداء من نهاية القرن الثالث الهجري يتخذ حجما مخيفا[3] .وبينما لانجد ذكرا في منتصف القرن الماضي إلا لخدم الخليفة وحجابه ونداماه إلى جانب أقاربه، فإننا نرى ظهور حامية مهمة في عهد سامراء مكونة من غير العرب، وسوف تقوى وتنظم في زمن المعتضد بينما كان عدد خدم القصر وموردیه يزداد بإطراد. وكان تعاظم

1- التنوخي: نشوار المحاضرة، 2/-152 53. مسكويه،598.

2- هذا ماحدث عند إقتسام الوزارة بين حامد بن العباس وعلي بن عيسى، وزيادة على ذلك، يبدو أنّ الخليفة عزم مرّتين على فعل مشابه. أنظر:.D.SOURDEL: LE VIZIRAT ABBASIDE, 2/353 et 2/478

3- أنظر بالخصوص آدم متز،-139 41.

الحاشية هذا موازيا لأشغال التوسيع التي شرع فيها بعد إنتقال الحكومة مجددا إلى بغداد الأمر الذي جعل من قصور خلفاء تلك الحقبة المجازات ضخمة.

كان الخليفة محاطا أولا من أفراد أسرته. وكان من بينهم الأمراء من أبناء الخلفاء السابقين أو من أحفادهم الذين لم يسعفهم الحظّ في إعتلاء العرش، والذين هم مبعدون غالبا، ويقيمون في قصرمستقل عادة هو قصر ابن طاهر وعلى العكس من ذلك، نجد النساء يقمن في القصر الرئيسي، حتى ولو كن مقصورات في غرف الحريم عادة، ولذلك كان باستطاعتهن أن يقمن بدور سياسي مهم، فقد لاحظنا سابقا تأثير " الخيزران" أم الرشيد، وتأثير "زبيدة" أم المأمون. وأثناء حكم المقتدر، كانت أمه "شجب" تقوم في البداية بدور الوصي وتتدخل باستمرار في تسيير شؤون الدولة بمساعدة أخت لها هي " خالة الخليفة" وأخ لها هو خاله المعروف بـ" غريب الخال" الذي كان مكلفا بمسؤوليات مهمة سلمت فيما بعد إلى إبنه هارون. وتأتي قيّمتا القصر"ثمل" و"زيدان" بعد أفراد أسرة الخليفة، وغالبا ما كانت حراسة الموظفين المبعدين تعهد إليهما. ثم يأتي العبيد المخصيون المكلفون بأعمال "منزلية" مثل الخصي المكلف بالحريم أو الخصي الساقي، أو المكلّفون بقيادات عسكرية مثل" الأساتذة" رؤساء فيالق الحجرية، ويمكن هنا أن نميّز، زيادة على قادة مختلف وحدات الحرس الخليفي، عتقاء الموفق الذين كانوا يكوّنون صف " الضبّاط" (الغلمان) والذين كان الحاجب ونوابه يختارون منهم. وهؤلاء الخصيون والعتقاء هم الذين كانت تعهد لهم بعض مهام الحاشية والعاصمة مثل إدارة البريد وشرطه بغداد.

وكانت رسوم دقيقة، مازالت بعد مجهولة، ولو أن بعض الأخبار تشير إليها، تسير أنواع النشاط الرسمي: كالفسح التي ندرت شيئا فشيئا، والمجالس العامة التي كان يحضرها ممثلو مختلف الفئات الأريستقراطية، وكانوا يجلسون " على طبقاتهم" ويوزعون بطريقة محكمة في القرن الثالث إلي عرب وموال [4]. ويضاف إلى رجال الدولة وأصحاب الوظائف البلاطية العالية قليلا أو كثيرا الهاشميون(عباسيون وطالبيون) الحائزون على منح، والكتاب، والقادة العسكريون وأمراء الجند، والفقهاء والقضاة. ومن كل هذه التظاهرات، كانت المجالس الخاصة مميزة الطابع فهي تقام في الأجنحة، ويدعو إليها الخليفة أحيانا بعض خاصته وندمانه. وهنا كانت تستدعى الراقصات والمغنيات والمضحكون. وفيها كان يقام اللهو الذي ذكرته عدة أخبار والذي مازالت بعض الرسوم تخبر عنه.

كانت واجبات البلاط والوظائف الإدارية في الأصل متميزتين عن بعضهما البعض: فالكتاب لايبدو أنه كان لهم الحق في التزيي بزي الاحتفال المميز الذي كان يلبسه خدم الخليفة، ولم يشذ منهم عن ذلك منذ هارون الرشيد إلا الكاتب المكلف بالنفقات الخاصة الذي كان يعد من بين عمال القصر[5]. لكن يبدوأن الأمر قد تغير في القرن الثالث الهجري حيث صار لكل الموظفين السامين رتبة في البلاط بالتساوي مع القادة العسكريين ذوي الأصل العربي أو المعتوقين..وموازاة لذلك تعددت المظاهر الخارجية لمرتبة الوزراء الذين كان لهم، منذ البداية، شرف الظهور بجانب الخليفة في المناسبات الرسمية إلا أنهم فيما بعد اكتسبوا حق التميز والصدارة في الوقت الذي منحتهم فيه ثروتهم رتبة إجتماعية عالية أكثر فأكثر.

1- الألقاب والشارات الممنوحة للوزراء.

4- الجهشياري، نقلا عن ياقوت: إرشاد الأريب،5/-456 57 (في عهد المأمون).

5- الجهشياري، 261/329.

إن تسمية الوزير التي رأينا أنها ظهرت مبكرا في صيغة " وزير آل البيت" لم تصبح لقبا إلا في مرحلة متأخرة. ومن الصعب حقا معرفة كيف إستعملت، فالوثائق المؤكدة التي نملكها، وهي المنقوشات على النقود والأقمشة والآثار العمرانية، لاتشهد بذلك إلا في نهاية القرن الثالث الهجري في تاريخ هو نفسه تقريبا في الحالات الثلاث [6]. أما الكتاب فإنهم لا يهتمون باللقب في حد ذاته ويعطون توضيحات متناقضة من الصعب الثقة فيها.

وهكذا، في الوقت الذي يطلق فيه الجهشياري والطبري إسم الوزير على المساعد الأول للمنصور، نجد بعض المؤرخين لايستعملون أبدا هذه اللفظة حين يتحدثون عن الحقبة نفسها، فاليعقوبي مثلا يشير عند الحديث عن كل خليفة إلى الشخص أو الأشخاص الذين كان لهم عليه تأثير لايرد مستعملا عبارة " الغالب عليه" ولكنه لم يستعمل إطلاقا كلمة "وزير" أما واحد كأتيشيوس(Eutychius) فلا يذكر أي وزير قبل حكم المعتصم ولايعطي قائمة (وزراء) مستمرة إلا إبتداء من عهد المكتفي: ويبدو أنه لايعرف في عهد الخلفاء الأوائل إلا "الحاجب"، ويدل فقط، إبتداء من عهد المأمون، على شخص وصفه بال "غالب"، وبعض قوائم الكتاب شحيحة أيضا بخصوص هذا الموضوع، فقائمة عبد الله البغدادي مثلا لاتمنح لقب وزير إلا لكاتبي المهدي من جهة ولابني سهل من جهة أخرى، وحتى البرامكة من بين آخرين لم يوصفوا بهذا[7]. وهناك قائمة أخرى ذكرها صاحب العقد لاتستعمل عبارة وزير إلاّ إبتداء من خلافة المستعين وذلك بخصوص أحمد بن الخصيب وخلفه أتامش[8].

بعض الأخبار والقرائن المتنوعة تسمح لنا بعدم التوقف عند هذه المعطيات غير الدقيقة واستخراج مراحل معينة في استعمال لقب الوزير. يبدو أن هذا الأخير ظهر رسميا، إذا استثنينا الحالة الخاصة"لوزير آل محمد"، في عهد المنصور الذي يكون ألقاه علي شخصية هي الربيع الذي كان يقوم خاصة بدور قيم القصر والحاجب ومسؤول النفقات. وقبل ذلك لم يتلق أبو أيوب من الخليفة أبدا هذه التسمية على الرغم من أنه ربما نودي من بعض أفراد الحاشية بهذا اللقب. وربما حصل مساعدو المهدي فيما بعد، على ذلك خاصةأن الأمر يكاد يكون مؤكدا بالنسبة الى يعقوب بن داوود الذي سجل تعيينه في الديوان [9]. أما البراكمة فقد كان محدثوهم يصفونهم بالوزراء ويشركون هذا الوصف بدعاء تشريفي [10] يبدو أنه كان يتجه نحو التعميم فيما بعد [11] في الوقت الذي ظهرت فيه العبارات التي صارت معهودة في القرن الثالث الهجري مثل(السيد الوزير) و(سيدنا الوزير) [12]. لكن هذا اللقب في حد ذاته والذي حمله الفضل بن سهل، والذي يبدو ان الاستعمال الرسمي قد اهمله في القسم الثاني من عهد المأمون [13] قد ظهر من جديد في خلافة المعتصم، وبعد انقطاع قصير في عهد المتوكل[14] وبعض التردد أثناء مرحلة سامراء

6- انظر : D.SOURDEL:LeVizirat Abbaside, 2/674.

7- عبد الله البغدادي،-140 41.

8- العقد الفريد،4/165.

9- انظر:D.SOURDEL: Le Vizirat Abbaside, 2/106

10- نفسه،1/136 رق4-2 ابن خلكان،5 /270.

11- هكذا نجد على بن عيسى يكتب في القرن الرابع الهجري وهو يصف حامد بن العباس بقوله:" الوزير اسعده الله(مسكويه، 86). وتظهر هذه العبارات التشريفية أيضا في الطراز والرسائل الرسمية.

12- انظر خاصة رسالة للقائد العسكري محمد بن سليمان في عهد المكتفي والتي يقول فيها:"اعز الله سيدنا الوزير" (عريب،1)، ورسالة اخرى كتبها عامل من عمال الاقاليم لعلي بن عيسى جاء فيها:"وصل كتاب سيدنا الوزير اطال الله بقاءه"(هلال، 336) وقد وصف ابن الفرات في وزارته الاولى بـ(سيدي الوزير) (هلال،194) ويبدو ان هذه العبارة قد استعملت من قبل في عهد المأمون باتجاه احمد بن ابي خالد الذي كان الكتاب يغدقون عليه طواعية هذا اللقب الذي لايبدو أنه ناله بصفة رسمية(التنوخي، نشوارالمحاضرة،1/-241 15).

المضطربة،أصبح قاعدة ابتداء من خلافة المعتضد ولم يعد كاتب مايشك في وجوده.

وفعلا، في هذه المرحلة بالذات يظهر هذا اللقب في الوثائق الرسمية كالطراز والنقود و النصوص. نصادفه على السكة لأول مرة في خلافة المكتفي سنة219هـ حين سك القاسم لقبه(والي الدولة) وكان أحيانا مسبوقا بلقب الوزير[15]. أما في النصوص، فاننا نعتقد وجوده ابتداء من سنة 297هـ متعلقا بابن الفرات. واذا كانت قراءة هذا النص قابلة للنقاش فالأمر يختلف بالنسبة إلي نص يعود الى سنة 304هـ حيث يوصف على بن عيسى فيه بوضوح بالوزير[16]. وفي الطراز أخيرا، إن لم يتضح لقب الوزير جيدا ابتداءمن سنة 289هـ فإنه يظهر جليا سنة 294هـ[17]. وهو أحيانا مصحوب بكنية الشخص وفي بعض الحالات يظهر في عبارة "وزير أمير المؤمنين" التي تصادفنا في الشعر أيضا [18] والتي كانت تمثل في ذلك الوقت أحسن عبارات التكريم والتشريف المستعملة في أدبيات الوزارة.

وبعد أن أصبح هذا اللقب رسميا صار منحه يتم في احتفال مميز يشمل منح الخلع الشرفية التي كان من عادة الخليفة منحها لمن يريد تمييزهم وتكريمهم. وأول مثال معروف حول هذا التنصيب حدث في عهد المنصور: حيث سلم الخليفة في الليلة السابقة للربيع اللباس الذي يجب أن يأتي به إلى القصر يوم التنصيب، وأثناء الحفل أكرمه بالسماح له بالجلوس على وسادة، ولكنها وسادة مخفية تحت زربية، للتمييز بين مرتبته ومرتبة وليي العهد اللذين كانت وسادتاهما ظاهرتين، وقال له: "أسلمك الوزارة والعرض" [19]. ولكننا لانجد ذكرا لمراسيم التنصيب في الحقبة الموالية. وقد قيل لنا حقا إن يعقوب بن داوود قد أعلن رسميا أنه "أخ في الله ووزير " للخليفة [20]. ولكن لانعرف شيئا عن الاحتفال الرسمي الذي يكون قد صاحب هذا التعيين، وحسب بعض الأخبار، فإن تعيين يحيي البرمكي بعد ذلك بقليل كان مصحوبا بتسليمه الختم رسميا ولكن المؤرخين غير مجمعين حول هذا الموضوع [21]. وبعد، فإننا لانملك معلومات إلا عن اعتلاء عبيد الله بن يحيي كرسي الوزارة، فنحن نعرف أن كاتب المتوكل الخاص قد تسلم بالتسلسل وظائف الوزير وراتبه ولقبه، وكان في كل مناسبة يمنح اللباس الشرفي المناسب [22].

يجب انتظار عهد المكتفي والمقتدر لكي نجد المؤرخين يشيرون إشارات دائمة لاحتفالات التنصيب التي صارت تجري تقريبا بالطريقة نفسها. ،وأول هذه الاحتفالات احتفال القاسم بن عبيد الله سنة 288هـ [23]. وهناك خبر يعلمنا سنة 291هـ بتفصيلات تنصيب العباس بن الحسن، حيث أدخل الوزير المختار علي بن عيسى مع الكتاب وأفراد الحاشية علىّ الخليفة حسب رتبهم حيث أعلمهم هذا الأخير

13- انظر: Le Vizirat Abbaside: 2/213s

14- نفسه، 1 / 275.

15- نفسه، 356

16- انظر .

Pilgrim Road In.890.899 (corr.t.5 pp.19091);G.C.Miles,Ali b.Isa'sıRepertoire, N Bieg;XXXVI(1955);480-87.

17- انظر: 5,EtıFI.E.Day;dated;in Arts Isl.;IV (1937);426;N 870.ırepertoire,N

18- انظر مثلا ابن المعتز،53.(اللقب الذي اطلق على يحي البرمكي)

19- انظر: Le Vizirat Abbaside,2/89.

20- نفسه، 2 / 106.

21- نفسه، 2 / 135،رقم1.

22- نفسه، 277

بقراره بتسليم الوزارة للعباس [24].

وكان هذا الأخير يلبس السواد الذي كان إلزاميا للتقدم أمام الخليفة أيام الاستقبالات الرسمية وفوقه الخلعة [25] بل نرى بعضهم يتهمه بتحضير هذا اللباس منذ عدة أيام [26]. ومع ذلك، فقد كان الخليفة غالبا مايأمر المترشح للتقدم في اليوم الموالي في اللباس المطلوب دون ان يستقبله من قبل، وحين الموعد يسلمه خاتمه كعربون صدق [27]. وعندما يتم تنصيب الوزير بحضور الخليفة، يقوم هذا الأخير بتقبيل الأرض، وهي عادة لانجد لها إشارة في النصوص إلا مرة واحدة بخصوص حامد بن العباس، ولكن يبدو انها كانت عامة [28]. وبعد تسلمه الخلع الشرفية، يتوجه الوزير إما إلي مسكنه الخاص [29] وإما إلى مبنى الوزراة في موكب رسمي مهيب يحضره كل كبار الحاشية مثل القائد مؤنس، وغريب، وخال الخليفة، وبعد ذلك ابنه هارون،والضباط العسكريون، ورؤساء الحرس، والغلمان والكتاب [30]. ويمكن أن نضيف أنه في الآونة الأخيرة أصبح يعطي له فرس[31]. وهذا الإجراء عمر طويلا بعد ذلك.

وبعد استلامه المنصب، يتلقى الوزير مباشرة تهاني الأشراف الذين يأتون لتهنئته والتسليم عليه حسب رتبهم [32].ويقوم الخليفة من جهته بإرسال الهدايا إليه، وهي عبارة عن أطباق منوعة، ومشروبات، وأنبذة وملابس، وعطور، وأشياء ثمينة [33]. وهذه الهدايا متنوعة الثمن لانجد لها دوما ذكرا في النصوص ولكن هذا لايمنع من كونها اصبحت عادية ابتداء من مرحلة معينة [34]، وهي أحيانا تصاحب الامتيازات الجديدة الممنوحة للوزير القائم [35].

هناك هدايا متنوعة أخرى قد تمنح لمساعد الخليفة نلاحظ منها التاج [36] أو الخلعة الخاصة بالمنادمة كما في القرن الرابع الهجري(حال المنادمة)[37]. ومن العلامات الفخرية امتياز الكنية، وهذا يعني أن الخليفة يقرر مناداة وزيره بكنيته مباشرة وبذلك يلزم أفراد الحاشية بمعاملته بالمثل، مع العلم أنه من العادة ألا ينادي أحد بكنيته بحضور الخليفة [38]. ولكن بعض الأشراف كانوا مع ذلك معفيين من هذا الإلزام،

23- نفسه،2 /346.

24- هلال،363

25- ويقال غالبا الخلع السلطانية بالجمع، وكانت هذه الخلع تشمل بدلة كاملة(انظر: هلال الصابئ، رسوم دار الخلافة، مخطوط الازهر،143).

26- التنوخي: نشوار المحاضرة،8 /90- 91.

27-انظر:D.Sourdel: LeVizirat Abbaside, 2/388 ومسكويه،7 .

28-مسكويه،58

29-هذا ما فعله القاسم سنة 288هـ (سوردبل،2 /346)، وابن الفرات سنة296هـ (هلال،23)، وعلي بن عيسى سنة 315 هـ(سوردبل،2 /442) وابن الفرات سنة 312(هلال،34).

30-انظر: مثلا: مسكويه،27 ، وهلال،281، وهلال،23 ،31 ، ومسكوية، 273،151.

31- مسكويه،312. وبخصوص الفرس، انظر:
D.SOURDEL;in ARABIA,IV(1957)

32- انظر مثلا: مسكويه،58 ،273 ، وهلال،31.

33- هلال، 31و310 ، ومسكويه،151 ، و186 ، و223 ، و-258 59.

34- وهذا مايؤكه مسكويه بوضوح،186

35- مسكويه،-223 تجدر الملاحظة ان هدايا من هذا النوع تمنح لحاكم مثلا كابن أبي الساج: مسكويه،-82 -83.

36- كالتاج الذي منح لأحمد بن إسرائيل، (انظر:2/473;.LeVizirat Abbaside)

37- نال هذا الشرف الحسين بن القاسم (LeVizirat Abbaside, 2/464)، وابن مقلة(نفسه،2 /473).

وهذا ماحدث مع عبيد الله بن سليمان الذي نال امتياز الكنية والذي وضع استثناء لبدر ولحاكم خراسان اللذين ربما كانا مساويين له [39]. وقد نال ابنه القاسم ومن بعده كل من العباس بن الحسن والحسين بن القاسم وابن مقلة هذه الحظوة [40]، ويحدث أحيانا أن ينال الوزير كنية شرفية كما حدث لسعيد بن مخلد الذي كني"أبا العلاء"[41].

إن أعظم امتياز يناله الوزير هو الحصول على لقب، ولكننا لانعرف إلا أمثلة قليلة أولها وأشهرها لقب الفضل بن سهل (ذوالرياستين) [42]، وهناك وزيران آخران فقط هما القاسم وابنه الحسين قد نالا هذه الكنية فالأول لقب (والي الدولة) والثاني (عميد الدولة) وهما يرمزان الى دوريهما الشخصيين في(الحفاظ على الدولة) [43]. ولكن من اللافت النظرأن نلاحظ أن لاابن الفرات قدعرف هذا ولاعلي بن عيسي [44].

وكان من الشرف الاستثنائي أيضا أن ينقش الوزير اسمه أو لقبه،إن كان له لقب، علي النقود وإن كان الذين تمتعوا بهذا قلة. زيادة على جعفر البرمكي الذي استغل منصبه كمسؤول على دار السكة لضرب اسمه على النقود[45]، فالفضل بن سهل، وسعيد بن مخلد، والقاسم بن عبيد الله، وابن الفرات والحسين بن القاسم هم فقط الذين يمكن ذكرهم [46]. وهنا لابد من الملاحظة أنه باستثناء ابن الفرات، فإن هؤلاء الأشخاص هم وحدهم الذين نالوا" ألقابا"، وتلك مصادفة غريبة يمكن أن نقترح لها تفسيرا: ذلك أن هؤلاء الوزراء هم فعلا أولئك الذين كانت لهم سلطات عسكرية أو هم الذين عملوا على تنحية القائد العام، وهذا هو القاسم المشترك بين القاسم بن عبيد الله ،وابنه الحسين وكذلك ابن الفرات الذي كتبت كنيته بالفعل على النقود سنة 312هـ وهو الزمن الذي أبعد فيه مؤنسا القوي. ولذا يمكن ان نعتقد أن هذا الامتياز لم يكن يدل فقط علي تعاظم الرتبة الشرفية بل كان يدل أيضا على سلطة جديدة.

أما حق طرز اسمه على المنسوجات المصنوعة في معامل الدولة، فقد كان امتيازا عاديا وأقل دلالة نظرا لأن منفذي أوامر الخليفة، حكاما ورؤساء معامل، كانوا يستفيدون من ذلك طبيعيا [47]. المثال الأول على ذلك نجده في عهد الرشيد والأمين حيث تركت النقوش على الطرز مكانا مهما للفضل بن

الربيع [48]. ولكن يبدو أن هذا الأمرلم يستمر في القرن الثالث الهجري ماعدا ربما في عهد المتوكل

-38 هذا مايخبرنا به هلال الصابي في رسوم دار الخلافة(مخطوط الازهر،92-91)، ومن جهة اخرى نعلم في القرن الرابع ان الخليفة نادرا مايتادي حاكما بكتيته(انظر: بخصوص الاخشيد والمتقي، ابن العديم: الزبدة،1 /108).

-39 انظر: Le Vizirat Abbaside،2 /341

-40 نفسه،2 /350،369،464، و473، وهلال الصابي في :(رسوم دار الخلافة، مخ الازهر،207)يؤكد أن ابن الفرات قد نال هو أيضا امتياز الكنية.

-41 سورديل: Le Vizirat Abbaside،2/319.

-42 نفسه،2 /201.

-43 نفسه،2 /356، و2/464.

-44 حسب هلال الصابي في رسوم دار الخلافة(مخ، الازهر،207) فان الحسن بن سهل قد يكون حصل على لقب(ذي الكفايتين)، وان اسماعيل بن بلبل يكون قد حصل على لقب(الشكور)، ولكن هذا الاخير يبدو أنه تعريض شعبي بهذا الوزير.

-45انظر:Le Vizirat Abbaside, 2/150

-46 نفسه، 2/203 ، 320، 356 و-465 بالنسبة الى ابن الفرات، ينظر: Istanbul, 626، والنقشبندي: الدينار العباسي، في : سومر،2 (1946)،2(القسم العربي)،247 (دنانير297هـ)، و Miles:The Numismatic History Of Rayy, 155 et (156b;(Dirhams de 311et 312H.

-47 أنظر: El, et Suppl. s.tiraz.

[49]، وابتداء من نهاية عهد المعتضد، في سنة 288هـ [50]، سيذكر في أغلب الأحيان اسم وزير وسيكون ذلك أظهر وأوضح لد المقتدر ومن جاء بعده [51].

ويظهر أحيانا في تسجيلات من هذا النوع لقب"مولى أمير المؤمنين" وهو اللقب الذي كان يحمله الفضل بن الربيع من بعد ان حمله ابوه قبله [52]. ويجب أن نربط هذا بالاستعمال الذي تبناه الخليفة من بعد وهو رفع بعض خدامه الى رتبة" مولى" على الرغم من أننا لانجد في هذا الشأن إلا معلومات نادرة منها:أن المتوكل قد رفع عبيد الله بن يحي إلى هذه الرتبة [53]، وأن بعض الوزراء في عهد المقتدر مثل علي بن عيسى وابن مقلة وصفوا بهذا في الطراز[54]، بينما كان من نصيب العباس بن الحسن وابن الفرات وسليمان بن الحسن لقب" وزيرأمير المؤمنين" [55] في الوقت الذي كان فيه حامد يحمل اللقبين بالتناوب [56].

كان بإمكان الوزير أن يقيم علاقات وطيدة مع العاهل، وهنا يتبادر إلى الذهن أخوة الرضاعة التي كانت تحدث أحيانا بين أبناء الخلفاء والوزراء، خاصة في عهد البرامكة [57]، ومن جهة أخرى فإن واحدا كيعقوب بن داوود سمي" أخا في الله" للخليفة، وكانت تلك لفتة منحت الحصانة لذلك المناصر القديم للزيدية [58]. ونشاهد بعد ذلك، ولو بصفة نادرة،مصاهرات بين أسرالخلفاء والوزراء، وهكذا نجد المأمون يقترن بابنة الحسن بن سهل[59]، والقاسم بن عبيد الله يزوج إحدى بناته بابن الخليفة [60].

وكان من الشرف ان يزور الخليفة أحد وزرائه بمناسبة مرض مثلا،وهو تقليد قديم، موروث في اغلب الظن عن التقاليد الساسانية [61]. نعرف له مثالين على الأقل هما زيارة المهدي لابي عبيد الله، وزيارة المتوكل لعبيد الله بن يحي. وكان ينظر الى هذا التكريم الاستثنائي الذي يبديه الخليفة بتشاؤم ملحوظ، والأخبار ترينا الوزراء المكرمين ينتظرون العزل الذي لايبطيء كثيرا بعد ذلك، أو تأتيهم النصيحة التي تشير عليهم بمضاعفة الحذر للحفاظ على تلك الرتبة [62]. صحيح أن منح اعتبارات جديدة كان بالنسبة الى الخليفة وسيلة

48- في سنتي190هـ و 191هـ(Repertoire,Num 78et 80)، وفي سنة 197هـ (Repertoire,Num 95)
49- F.EDay, Dated Tiraz, in Arts Isl:IV/422 Num 1
50- Repertoire,Num 818
51- نفسه، N 882 et suiv.
52- نفسه، N80et95
53- أنظر: Le Vizirat Abbaside,2/277.
54- Repertoire, Num 960 et 1231.
55- نفسه، NOS 879, 990 et 1140
56- نفسه، Nos 1017,1018 et 1019
57- أنظر: Le Vizirat Abbaside, 2/72, 144 et 628
58- نفسه، 2/ 106.
59- نفسه، 2/217.
60- نفسه، 2/ 356.
61- الجاحظ: التاج في أخلا ق الملوك، 59-156.
62- أنظر: التنوخي: نشوار المحاضرة، 8 /-78 80، وعبد البغدادي، 124و 150

يخفي بها على وزيره اقتراب إسقاطه، وبالفعل، هذا مافعله السفاح مع أبي سلمةالخلال، الذي منحه خلعة بمدة قليلة قبل قتله [63].

من المفروض أن يضمن كل هذا التكريم للوزير مرتبة في البلاط لا يرقى اليها الكتاب البسطاء لكن هذا لم يمنع من منحها كذلك لبعض الشخصيات المهمة في الدولة. وهكذا فإن لقبي" ذي الرياستين" "وذي الوزارتين" اللذين يشيران مباشرة إلى الوظائف التي يشغلها الوزير، كانا لهما مايشبههما من الناحية العسكرية نوعا ما مثل "ذي اليمينين" الممنوح لطاهر بن الحسين و"ذي السيفين" الممنوح لابن كندغ [64]. ويمكن أن نقرن بهذا لقب "وزير آل محمد" الذي حمله أبو سلمة الخلال، وأمين آل محمد " الذي حمله أبو مسلم الخراساني [65]. وبطريقة متشابهة، تسلم كل من الأمير أبي أحمد، والقائد التركي بغا، وأحمد بن إسرائيل تاجا [66]. إن حق التكني، والمسير في موكب بعد التنصيب، وهدايا الخليفة، كانت كلها أنواعا من التكريم قد استفاد منها القادة العسكريون أيضا [67]. أما لقب "مولي أمير المؤمنين"فقد كان يحمله الحاجب نصر في عهد المقتدر[68]. ومن ثم، يمكن القول إن الوزير، في أوج قوته، كان مزاحما في مرتبته من طرف الأمراء والقادة العسكريين الذين كان أمن الإمبراطورية متوقفا عليهم.

2- صلاحيات الوزراء في المراسيم البلاطية.

إن ديوان الوزير يمنح صاحبه عددا معينا من الصلاحيات تتجلى في مراسيم البلاط وتبين أهمية الدور الذي كان عليه أن يقوم به، زيادة على مختلف أنواع التكريم. وهذا سايؤكد القول المنسوب إلى الفضل البرمكي الذي يعطي المرتبة الثانية في الدولة، بعد الخليفة، لشخصية متصفة حتما بالحكمة والتدبير[69]. وبالمثل تجعل الرسالة العذراء " الوزراء والكتاب" قبل الأمراء والقضاة [70]، وهو رأي قابل للنقاش بخصوص الكتاب البسطاء ومديري المصالح وليس بخصوص الوزيرالذي يأتي في التشريفات مباشرة بعد ولاة العهد. وقد لاحظنا هذا في قصة تنصيب الربيع[71]، ويمكن أن نجد شهادات أخرى في رسوم النقود حيث يظهر اسم الوزير مباشرة بعد الخليفة وولي العهد[72]. ولنضف إلي هذا أن الوزير في مراسلاته، إذا اعتمدنا التقليد الذي اتبعه ابن الفرات مثلا، لم يكن يستعمل عبارات الاحترام الخاصة إلا للأمراء أبناء المقتدر، وأم الخليفة، والحاجب نصر الذي كان يخاطبه بضمير الغائب دون ذكر كنيته[73].

63- أنظر: الجهشياري، 90- 92.

64- أنظر: Le Vizirat Abbaside, 202 et 320 Num 1.

65- نفسه، 2 /66.

66- نفسه، /2.295. رقم:6

67- من الامثلة الاولى على الموكب ماتم سنة 296هـ بخصوص ابن كندغ الذي سايره الى منزله هارون بن الموفق، وسعيد بن مخلد والضباط العسكريون(الطبري، 3 /2040). اما امتياز الكنية فإنه قد منح سنة 314هـ لابن أبي الساج(مسكوبه148 ،).

68- هلال، 154 .

69- أنظر: G.E..von Grunebaum,Medieval Islam,171. مستشهدا بابن الفقيه، 1. أنظر: Mez,147-148.

70- أنظر: محمد كرد علي : الرسالة العذراء، 230.

71- أنظر: Le Vizirat Abbaside,675.

72- الأمثلة متعلقة خاصة بالفضل بن سهل وسعيد بن مخلد.

73- أنظر: هلال، 153- 159.

هذه الرتبة تتوافق مع العلاقات المباشرة التي كانت بين الخليفة والوزير، إن في حياة البلاط وإن في النشاطات الحكومية. إن الخدمة التي يقوم بها الكاتب الشخصي سمحت له بالطبع أن يستحوذ على جزء من التكريم الذي كان يتمتع به الحاجب من قبل. وهذا الوضع يفسر بان الحجابة، بعد ان كادت تتحول في العهود الأولى الى "وزارة"، صارت ابتداء من بداية القرن الثالث الهجري وظيفة ذات طابع عسكري أكثر، يقوم بها ضباط الحرس. وهكذا، فالوزير هو وحده الذي كان يملك الصفات الضرورية لمساعدة الخليفة في الاستقبالات الرسمية.

يبقى الوزير واقفا عادة علي يمين الخليفة الجالس على سرير[74]، وقد يتحدث باسمه [75]، اذ نعرف أنه أثناء استقبال السفارة البيزنطية سنة 305هـ ساعد سيده بعدأن استقبل السفراء قبل ذلك في أبهة جعلتهم يظنون انه الخليفة [76]. وقد رأى مؤنس المقتدر يجلس على عرشه، حين استقبل سنة 307هـ بعد مقدمه الى بغداد، بين أبنائه، وكان الوزير حامد بن العباس يساعده، بينما يوجد على مقربة من ذلك علي بن عيسي وبقية الناس موزعين حسب رتبهم[77].

جسّد هذا التصدر والتقدم على بقية أفراد الحاشية في عهد الواثق بمرسوم من الخليفة مفاده أن الكل، وحتى قاضي القضاة الذي ظل يتملص من هذا الإلزام، ملزمون بالوقوف أمام الوزير ابن الزيات [78]. وليس هناك شيء يدعو إلى الاعتقاد أن هذا التعامل قد ألغي فيما بعد، فقد رأينا في عهد المقتدر أن كل الأعيان، بما فيهم القائد العام، قد ساروا في موكب الوزير المعّين أو المنصّب حديثا.وقد شذ القائد مؤنس بصفة استثنائية عن هذه القاعدة عندما توقف أمام منزله الخاص [79] حين كان يساير علي بن عيسي سنة 315هـ مع أنه في هذا التاريخ قد اهتزت مكانة الوزير بسبب مبادرة ابن الفرات الذي استدعى قائد الجيش إلى العاصمة سنة 312هـ وذهب لاستقباله شخصيا[80].

كان الوزير يبادر بالتسليم على الخلفية أيام الجلوس أو أيام الموكب[81]، وقد يصحبه مرارا الى ملعب الفروسية [82]، أو يشارك، زيادة على ذلك، في الموكب الرسمي لهذا الإبن أو ذاك من ابناء الخليفة، ماشيا على يمينه بينما يقف محافظ الشرطة على يساره، يتقدمهم الحاجب جمعيا [83].وأهم من ذلك، السماح له بمحاورة الخليفة بعد الانتهاء من المجالس الرسمية وتلقّى تعليماته، وهي جلسات كان غالبا

-74 الأمرمؤكد بالنسبة الى يحي بن خالد في عهد الرشيد (وكيع،249/1)، وابن الفرات في عهد المقتدر (انظر:سورديل، 391/2)، ولنذكر بهذه المناسبة أن ارتفاع السرير قد خفض منه بسبب القامة القصيرة للوزير أبي جعفر الكرخي (نفسه،2 /491)

-75 سورديل،2 /391.

-76 نفسه،2 /407.

-77 عيون الحدائق، نقلا عن مسكويه،49

-78 ابن خلكان،1/67.

-79 مسكويه،151.

-80 أنظر: سورديل: 432/2.

-81 حـــول مـــعنى" الكوكب" أنظر: M.Canard, Le ceremonial fatimide,in Byzantion, XXI(1951), -396

أما في النصوص التي بحوزتنا فانه يبدو أن لفظة" موكب "تدل على " المجالس" في القصر والمواكب الرسمية، أنظر الأمثلة التي يطرحها التنوخي، نشوار المحاضرة،8 /11. هلال، 118،242 .244 ، 247،مسكويه،26 .

-82 كما في سنة 302هـ: عريب،51.

-83 كما في سنة 301هـ: عريب،-43 45

مايدون فيها بعض الملاحظات، وحينئذ يقدم له أحد الخدم لوح الكتابة [84] الذي يمسكه باليسرى ويكتب باليمنى. وفي سنة 301هـ نرى على بن عيسى الذي كان يمتاز بسهولة ملحوظة في كتابة الرسائل التي يكلفه الخليفة بتحريرها مباشرة دون مسودة، وفي حضوره، يكرم تكريما جديدا: وهو أن خادما من خدام القصر كلف خصيصا بإمساك لوح الكتابة له، ومن يومها صار هذا الامتياز حقا لكل الوزراء فيما بعد[85].

إذا صدقنا الصولي، فإن مرتبة الوزير الشرفية قد تأثرت جدا بمراسيم الكتابة التي كانت محددة بوضوح في عهد إبن الزيات.وهكذا فإن إبراهيم بن العباس يكون قد جلب لنفسه حنق الوزير بسبب إهماله ذكر الدعاء الذي كان من حقه [86]. كان الوزير، دائما حسب القواعد التي ذكرها الصولي، والصالحة لعصره، يحتل المرتبة نفسها التي كانت لولي العهد، حيث تستعمل في حقه الصيغة التي توجه للخليفة محذوفا منها عبارة"وبركاته" [87]. أما في الحوار فقد كان يخاطب بضمير الغآئب على أن ينادي بلقبه متبوعا بدعآء [88]. وفوق هذا، كل ضابط يكتب إليه وهو يقدم نفسه على أنه "عبد"، وتلك عادة حاول الخاقاني إلغاءها لتحسين شعبيته [89].

نال الوزيراحترام أفراد الحاشية، وكان له، كما رأينا، حقه في موكب خاص[90]. وكان الأشراف، والقادة العسكريون، والقضاة، والكتاب يأتون للتسليم عليه ويرافقونه عندما ينتقل من قصره إلى قصر الخلافة. وكان يسمح للمقربين بالدخول حتى في جناحه الخاص عندما أنظر كذلك: هلال الصابي : رسوم دار الخلافة ، (مخ . الازهر)،-14 17. ويخصص مسكويه،166 ، أن الموكب من إمتيازات الوزير، لكن خبر هلال، المذكور أعلاه، يشير كذلك الى موكب محافظ الشرطة.

يرتدي خلعة الاحتفال، ولكن هذا النوع من الإمتياز كان خطيرا إذا كان المعني لايملك مايدفع به مخالفة كبيرة حين سقوط الوزير[91]. وكانت هذه هي الفرصة التي يستغلها أصحاب المطالب لمحاولة الحصول على تحقيقها [92]. وحاول الفضل بن سهل،في مرو قديما، تطبيق عادة مستوحاة من التقاليد الفارسية: وهي أنه كان يجلس على كرسي في القصر. وعندما يرغب في الذهاب الى الخليفة، يحمل هذا الكرسي على أيدي الرجال وهو جالس عليه، حيث يتربع من جديد للتحاور مع المأمون.وحسب رواية اخرى كان يحمل الى داخل القصر على حمالة [93]، لكن يبدو أن هذه العادات لم تترك آثارا في مراسيم بغداد بعد ذلك.

ومع ذلك فإن مرتبة ديوان الوزير مافتئت تتعاظم منذ العهود الأولى، ويمكن أن نستشهد لذلك بتطور ثياب صاحب هذا الديوان، فبينما لانجده يحمل زمن المنصور كثوب رسمي إلا عباءة بسيطة او

-84 يؤكد ذلك إسماعيل بن بلبل، أنظر: الذهبي، (مخ، إسطنبول)8/107ظ.

-85 هلال،342 ، وأنظر: هلال الصابي، رسوم دار الخلافة، (مخ، الازهر)-103 104.

-86 الصولي: الكتاب، -159 60.

-87 نفسه،40 ،164

-88 يمكن هنا أن نلاحظ المشهد الذي يظهر فيه حامد بن العباس عندما سجنه ابن الفرات يكلم هذا الأخير بالكاف (ضمير المخاطب)ثم يتراجع ويعطيه لقبه الوزاري(مسكويه، 98).

-89 مسكويه،24 .

-90 أنظر خاصة خبر التنوخي(نشوار..1/122) حيث يوضح أن الموكب كانت ينطلق من مسكن الوزير المسمى دار الخلوة.

-91 التنوخي: نشوار،1/22.

-92 نفسه،1/-211 14.

-93 أنظر: سورديل،2 /212.

دراعة [94]، تراه زمن المعتصم يتزيا مثل القادة العسكريين وضباط القصر بالقباء [95]، والحزام، والسيف، والشاشية.وكان لبس القباء أمرا طبيعيا حينذاك لأن المؤرخين يذكرون بشيء من التفصيل إن إبن الزيات قرر هو بنفسه عدم إستعمال ذلك اللبس وتعويضه بدراعة [96]، وكان يحمل معها السيف، والحزام، والقلنسوة عندما ألقي عليه القبض[97]. ولم يكن حمل القباء مسموحا للكتاب بل كان يسمح لهم بالعباءة السوداء والسيف، ونميز في الحاشية بوضوح بين(أصحاب الأقبية)و(أصحاب الدراريع)[98].وأصبح القباء فقط الذي مازال يحمله الوزير زمن المتوكل لباس البلاط الخاص بالكتاب الذين يلبسون، حسب المناسبات ،زياأبيض أو زيا أسود[99].

لايبدو هذا التحول التدريجي في إستعمال الألبسة مشكوكا فيه، فنحن نفهم أن يحتفظ الوزير في مثل هذه الظروف، وخارج إستقبالات القصر، بعادة لبس الدراعة، كلباس يومي[100]، مع العلم أنها لم تكن خالية من الأناقة مادام إسماعيل بن بلبل يحمل واحدة منسوجة من خيوط ذهبية [101]، وكان لبسها هو القاعدة لدى استقبالات الخليفة غير الرسمية[102]. لكن الأمر يصعب أكثر لو حاولنا معرفة معنى لبس السواد الذي كان الوزير يترك الدراعة من أجله في المناسبات، والذي يمثل رمز ديوانه[103]. يعتقد عادة أن السواد ثوب، هو لباس البلاط في ذلك الوقت لكن بعض الأخبار تبدو وكأنها تجعله في مواجهة الدراعة والقباء معا فقد ذكر أن أحد كتاب إبن أبي الساج كان مولعا بالتكريمات، وأنه كان يلبس كوزير لكنه كان يكتفي بالقباء بدل السواد[104]. ونعرف أيضا أن علي بن عيسى لم يكن يحمل السواد في عهد وزارة حامد بن العباس بل رفض حتى أن يسلم له. ربما كان ثوبا تميزه بعض تفصيلات الشكل أو التزويق.

أما القلنسوة المسماة شاشية فقد كانت تكمل بدلة الوزير البلاطية، وهي منذ مدة تمثل جزءا منها لأن الربيع تسلم واحدة من المنصور بمناسبة تنصيبه[105]. وكانت مصاحبة للقباء زمن المتوكل [106] وبقيت

94- أنظر: سرودبل،2 /89، وأنظربخصوص هذه الملابس وغيرها
Dictionnaire détaillé des noms, R. Dozy
R.Levy, Notes on Costume from Arabic Sources,in JIRAS,1935,319_38. وخاصة vêtements
95-أنظر حول القباء: M.Canard, نقلا عن الصولي: أخبار...،130/1،رقم3؛
Extraits, 78 et Num.3.
Hammdanides, 390, Num.2.
96- أنظر: سرودبل،2 /267، رقم3.
97- الطبري،3 /1373.
98-أنظر مثلا: التنوخي : الفرج بعد الشدة، (مخ، باريس،3483Ar) ،155 و(خبر حدث زمن الواثق).
99- أنظر: التنوخي: نشوار المحاضرة، 8/-11 12(زمن المتوكل) ، والشابشتي، 99.
100- هذا هو اللباس الذي كان يلبسه علي في منزله: هلال، 325 .أنظر ملاحظات
M.Canard نقلا عن الصولي: أخبار،163/1، رقم5.
101- الذهبي(مخ، أسطنبول)،8 /107ظ.
102- سأل إبن الزيات رسول الخليفة الذي جاء لاستدعائه قائلا:"بثياب الموكب أو بالدراعة؟"، هلال،242 .
103- عريب،85 ، هلال،118 ، مسكويه،166
104- مسكويه،166 .
105- أنظر: سرودبل،2 /89.
106- التنوخي: نشوار المحاضرة،8 /-11 12.

مستعملة فيما بعد، فقد أكد لنا بالفعل أن الحسين بن القاسم أمّ الصلاة بهذه القلنسوة[107]. وبالعكس من ذلك، فإن الطيلسان الذي أصبح يحمله الوزير المبعد في القرن الرابع الهجري، للتدليل على أنه لم يعد يحتل أية وظيفة عامة[108] كان قبل ذلك يحمل عادة من الوزراء.ونعرف أيضا أن يعقوب بن داود جعل من طيلسان أزرق بدعة يتبعها الناس مع قلنسوة من نوع خاص أصبح حملها ممنوعا بعدإسقاطه[109].

نال الوزير في النهاية مكسب أن يكون له حرس خاص في الأونة الأخيرة تكريسا للمقام الشرفي الذي وصل إليه، وهو حق كانت تحظى به كل الشخصيات المهمة، وأحسن مثال على ذلك يقدمه لنا صاحب الضياع حامد بن العباس[110]. كان تحت تصرف إبن الفرات، الذي يبدو أن حاميته كانت مهمة، عدد من حراس الحجرية[111]، فقد ودع ذات يوم أحد زواره المرموقين مرفقا بمئتي غلام[112]. لقد ظهرت أول حراسة وزارية قبل ذلك، على ما يبدو، زمن المتوكل علما أن عبيد الله بن يحي كان يرأس حامية من عشرة آلاف رجل، بصفته وصيا على المعتز، الأمر الذي منحه لقب أمير[113]. وكان يجب أن ننتظر عهد إسماعيل بن بلبل لنرى الوزير محروسا من فرقة بربرية[114] دون أن يكون قد مارس سلطة عسكرية حقيقية. وكانت أهمية الحراسة تختلف في القرن الرابع الهجري تبعا للقائمين بأمر الوزارة، فقد إستطاع حامد بن العباس، حتى قبل أن يكون وزيرا، أن ينال مساندة فرق من الجيش قادرة على التأثير على السلطة المركزية[115]. وعلى العكس من ذلك ، فلا أحد يتحدث عن حراسة علي بن عيسى، التي كانت موجودة بدون شك، ولكنها لم تصل الى حجم مخيف. والحقيقة أن القوة العسكرية الحقيقية التي كانت تحت تصرف الوزير لم يكن باستطاعتها أن تواجه تلك التي كانت عند الحاجب الذي كان تحت إمرته فرق المصافية[116] بله تلك التي كانت تحت إمرة قائد الشرطة: ففي ثوراث القصر لاتوجد أية إشارة الى تدخل حراس الوزير، وحتى بضعة الأفراد الذين كانوا يحرسون مقره باستمرار لم يستعملوا أبدا إلا في المهام الصغيرة[118].

3- نمط المعيشة والرتبة الاجتماعية.

إن الممارسات التي كان الوزير يقوم بها كرجل بلاط أثرت حتما على نمط حياته الخاصة التي اتسمت بميسم الأبهة التي اكتسبها في القرن الرابع الهجري والتي تعود في كثير من أمورها الى الثروة الهائلة التي

107- عريب،165 ، أنظر: سوردبل،2 /464.

108- هكذا فعل سليمان بن وهب سنة 265هـ(التنوخي. نشوار...،8 /60)وعندما علم علي بن عيسى سنة 315هـ إبعاده وأنه لم يمثل أمام الخليفة لبس مباشرة العمامة والطيلسان(مسكويه،185)وعكس ذلك، عندما أعطيت له وظيفة سنة 317 هـ ترك الطيلسان واستعاد الدراعة(انظر: D. SOURDEL, Une lettre inédite

109- الطبري،3 /-515 16.

110- مسكويه،58 .

111- عريب،62 .

112- هلال،112

113-أنظر: سوردبل،2 /281.

114- نفسه،2 /325.

115- تبين لنا فصول الصراع بين حامد المبعد وابن الفرات الوزير الجديد أهمية هذه الفرق، أنظر: سوردبل،2 /425.

116- هلال،49 (كانت هذه الفرق تصل الى عشرة آلاف رجل).

117- نرى مثلا رجالة الباب يمدون يد المساعدة لشخص كلفه ابن الفرات بمهمةحساسة: هلال.121.

وفرتها له وظيفته. لقد تغيرت المهمة الأولى بصفة هائلة من بين المهتمين اللتين كانتا تسيطران على وجوده وهما خدمة الخليفة وتسيير الدواوين، في الوقت الذي أخذت فيه مقابلات العاهل طابعا رسميا أكثر فأكثر حيث إكتسب الوزراء إستقلالية جدية. لذلك تحولت الزيارات اليومية التي كانت تتم كل صباح، إذا نظرنا الى عادات سعيد بن مخلد زمن الموفق[118] والعباس بن الحسن زمن المكتفي [119]، وصارت أقل من ذلك إذ لم يكن ابن الفرات يزور القصر إلا مرتين في الاسبوع: يوم الإثنين ويوم الخميس، وهي أيام الموكب [120].

وفي بقية الأوقات، كانت المهام الادارية تشد الوزير قرب الكتاب الذين كان يراقبهم يوميا، مصدرا لهم أوامره في الصباح ومراجعا للوثائق المحررة في المساء[121]. وكانت المكاتب نفسها توجد خارج القصر، فهي إما في إقامة الوزيرأو في محلات خاصة. ونحن نعرف أن يحي البرمكي كان يجمع مرؤوسيه في قصره [122] حيث كان ينظر أيضا في المظالم [123].أما في سامراء، فقد كان ديوان الخراج بعيدا عن مسكن الوزير[124] سواء في الإقامة الجديدة التي شيدها المتوكل أم في المدينة العتيقة[125].أما عند عودة الخلافة إلى بغداد، فقد خصص المعتضد قصر الثريا للدواوين[126] بينما أقام الوزير في قصر سليمان بن وهب القديم، الواقع على ضفة دجلة بحي المحرم. وكان كاتب واحد فقط يشتغل إلي جانبه هو صاحب التوقيع[127]. وبعد ذلك بقليل زمن المتوكل، كانت المكاتب على العكس من ذلك تحتل قصر الوزارة، وهذا منذ تاريخ يصعب تحديده ولكنه في جميع الحالات قبل وزارة ابن الفرات الأولى حيث كان ديوان الخراج يوجد في قصر فتح القلانسي[128]. وينسب تحويل هذه المكاتب الي علي بن عيسى مرة [129]،وإلى ابن الفرات مرة أخرى[130]. ولابد من الإشارة هنا إلى أن دار الوزارة الرسمية التي إنطلقت منها سنة 296هـ مؤامرة فاشلة أرادت تنصيب ابن المعتز خليفة، قد استعملت فقط كمكان عمل لعلي بن عيسى الذي إستمر مقيما في سكناه الواقعة بباب البستان[131]، وهي التي كانت من نصيب ابن الفرات الذي إستفاد منها كـ(تنازل) وصرف أموالا طائلة في ترميمها وتوسيعها [132]. إن أهمية دار الوزارة الادارية التي تم فيها جمع أهم المكاتب لم تمنع الوزير من العمل في قصر الخلافة كذلك، شاغلا فيه مكانا في القرن الرابع الهجري خصص له، كما يقال، منذ عهد سعيد بن مخلد، حيث كان يتفحص بعض

118- الشابشتي،175.

119- أنظر: سوردیل،2 /366.

120- هلال،241. أنظر: عريب،49 . الذي يشير الي إستقبالي الخليفة الاسبوعيين.

121- هلال . 238.

122- ديوان الختم كان في قصر الوزير(الصولي: أوراق (الشعراء)، 156.)

123- أنظر: سوردیل،2 /170.

124- E.Herzfeld,Samara,VI,102.

125- Yaqubi-Wiet, 61.

126- هلال،184 .

127- مسكويه،5 . عريب،127 -أنظر حول المكلف بالتوقيع: التنوخي: نشوار...2/160، مثل مجلس الكاتب-حول موقع القصر، أنظر:Canard, Hamdanides, -165 66

128- هلال،121 .

129- هلال، 341(وقد جعلها ديوانين).

130-هلال، 31(نقل الدواوين إليها)، وربما تم هذا النقل في بداية الوزارة الثانية.

131- مسكويه،27 و151.

132- أنظر: سوردیل،2 /506.

133- هلال، 39.

134- هلال،28 .244. 281، مسكويه،21.

القضايا المتعلقة بعمال القصر[133]. وكان ينتظر هنا عموما موعد إدخاله على الخليفة-[134]وهنا أيضا كثيرا ماكان يقبض عليه، وإن كان ذلك يحدث له حتى وهو في بيته أو في دار الوزارة[135]. ونعرف من قبل أن عبيد الله كان موجودا في غرفة من قصر الجعفري برفقة كاتبه الخاص ليلة إغتيال الخليفة المتوكل[136]. وكان يوجد ببعض قصور الخليفة بسامراء باب للوزير يؤدي إلى غرفة الوزير، حسب هرزفلد(Hezfeld)[137] بينما كان بعض الوزراء يفضلون المكوث بمحل الحاجب[138]،وهو مافعله الخاقاني، وعلى بن عيسى، والخصيبي على عكس ابن الفرات الأمر الذي أدى إلى الإلغاء النهائي لجناح الوزير[139].

إن الحياة التي كان الوزراء يحيونها خارج إلتزامات العمل والرسوم ليست معروفة عندنا بطريقة جيدة. إن مجالس اللهو والترفيه التي تنبئنا عنها بعض الأخبار، والتي كان الوزير يحاول إخفاءها أحيانا عن الخليفة[140]، تضاف بدون شك إلى المجالس الأدبية والمناظرات الفلسفية أو اللاهوتية التي أشرنا إليها من قبل [141]. الأمر المؤكد أن الوزير كان يملك، في القرن الرابع الهجري، مبالغ مالية ضخمة حصل عليها، في جزء منها، من راتبه الذي كان يتجاوز بكثير راتب كاتب عادي، ولكن ليس بإمكاننا مواجهته مع العلاوات التي كان يتلقاها القادة العسكريون وأفراد الحاشية الآخرون. في المراحل اللاحقة، لانعرف إلا مرتب الكاتب وحده، فقد كان، زمن المنصور، وفي أحسن الحالات، يبلغ ثلاثمئة درهم وبقي بدون تغيير حتى زمن المأمون حيث إن الفضل بن سهل هو أول من رفع الرواتب[142]. نجد، زمن المأمون، كاتبا وظف حديثا يتلقى ثلاثين درهما في الشهر، خمسة عشر منها لنفسه، وخمسة عشر للاعتناء بأسرته[143].ومن جهة أخرى، كان مقتصد جيش مايقبض عشرة آلاف درهم شهريا، أي حوالي ستمئة وستين دينار، [144]،كما نعرف أيضا أن المبلغ نفسه خصصه المتوكل لوزيره الجديد عبيد الله بن يحي[145]. وابتداء من هذا التاريخ، تسمح لنا معلومات المؤرخين بملاحظة الارتفاع المطرد لمخصصات الوزير. فقد كان راتب عبيد الله بن سليمان، وزير المعتضد، الف دينار، وخمسمئة إلى ابنه[146]. إلى أن أصبحت الضياع التي سلمت له في شكل إقطاع توفر له مبالغ أكبر .أما ابن الفرات فقد كان راتبه الشهري، سنة296هـ زمن المقتدر، خمسة آلاف دينار زيادة على الإيرادات المهمة لأملاكه العقارية، وهو الراتب الذي حافظ عليه محمد الخاقاني. وعلي بن عيسى، وأحمد الخصيبي[147] .ثم منح لعلي بن عيسى في وزارته الثانية مبلغ سبعة آلاف دينار وهو مايساوي مخصصات سلفه الخصيبي مع ابنه

135- هلال،28، 33، 244، 281.
136- أنظر: سوردبل،2 / 284.
137- أنظر:Samara
138-أنظر: عريب،73
139- هلال،268، 271.
140- أنظر، مثلا، لهو القاسم بن عبيد الله(أنظر: سوردبل،2 /348)ولهو ابن الفرات(هلال،107).
141- أنظر: سوردبل،572 .
142- الجهشياري،126 / 141.
143- التنوخي، نقلا عن الجهشياري: الفرج بعد الشدة، (مخ .باريس 3483Ar،123،أنظر: D.Sourdel, Nouvelles recherches,in Melanges L.Massignon,III,288.
144- التنوخي، نقلا عن الجهشياري: الفرج،2/ 5-7.
145-التنوخي، نشوار المحاضرة،8 /13.
146-هلال،20 .
147-هلال،23 ، أنظر:H.F.Amerdoz,Abbasid Administration,in JRAS,1908,438 n.11

مجتمعين[148].

وكانت هذه المخصصات تفوق بكثير ماكان يمنح لموظفي الإدارة المركزية الاخرين الذين لم يكن المحظوظون منهم يقبضون ،أثناء الوزارة الأولى لابن الفرات، سوى خمسمئة وأربعمئة دينار،أي عشر مرات أقل [149] بينما كان رؤساء المجالس يكتفون بمئة وخمسين دينارا،والكتاب الصغار بعشرة دنانير شهريا[150].

بدون شك، كان بعض أفراد الحاشية ، أمثال ابن الحواري، يتلقون من الخليفة مبلغا يصل الى سبعة عشر ألف دينار شهريا[151] لكن هذا لايمنع من أن يكون الوزير من أغنى حاشية الخليفة فزيادة على مخصصاته، كان يستفيد من مداخيل عقارية إضافية أصبحت من تاريخ معين ملحقة بمهمته[152]. يبدو أن اصل الضياع الوزارية تلك التي منحت لعبيد الله، والتي صار دخلها بعد استصلاحها مئتي ألف دينار سنويا[153]، وبلغ زمن القاسم بن عبيد الله سبعمئة ألف دينار[154]لكن بعد ذلك بقليل، لم يستخرج منها العباس بن الحسن إلا مئة وعشرين ألف دينار حسب بعض التقديرات، أو خمسين ألفا حسب أخرى[155]. أما ابن الفرات الذي يضيف إلى مداخيله الخاصة إيرادات إقطاعاته فقد قيل إن دخله بلغ مليون دينار[156]. من الصعب المقارنة بين هذه الأرقام التي قد تمثل الدخل الصافي أو الإجمالي وتشمل أو لا الفوائد ذات الأصل الشخصي. إلا أننا يجب أن نعترف أن الضياع الوزارية كان ريعها، في حدود سنة 314هـ، مئة ألف وعشرة آلاف دينار سنويا بعد استخلاص النفقات العادية منها(النفقات الراتبة)التي هي من صلاحيات الوزير وتشمل بالخصوص صيانة"قصره".[157].

تتميز هذه التنازلات الرسمية، على مايبدو، عن الهبات الخاصة التي نالها عدد من الوزراء في العهود الأولى والتي يصعب معرفة أهميتها عموما. نعرف فقط أن سعيد بن مخلد كان يملك ضياعا تدر عليه مليونا وثلاثمئة ألف درهم[158]. وكان ابنا سهل قد نالا من قبل أراضي، الفضل في السيب والحسن في فم الصلح[159]، وكان البرامكة يملكون أيام عزهم، إقطاعات منتشرة في العراق زيادة على أملاكهم العائلية التي احتفظوا بها في بلخ[160].وكان يحدث مرارا في العهود الأولى، أن يمنح الوزير، كتنازل، حيامن بغداد[161] أو إقامة جديدة كسامراء[162] دون أن نعرف حينئذ ماهي الفائدة التي يمكن أن

148- هلال،351، مسكويه،159- أنظرحول مرتبات وزراء هذه الحقبة:A.A.Duri: The Economic Life, 250 57.

149- هلال،177- 78.

150- أنظر: هلال،140 ، ابن الجوزي، كتاب الاذكياء،35- 36.

151- هلال،85 .

152- مسكويه،159.

153- هلال،20 .

154- المنتظم،6 /47، والذهبي، العبر، (مخ، باريس1584)،97 ظ.

155- مسكويه،239 ، هلال،23 .

156- هلال،323 ، عريب،37.

157- مسكويه،155، 159 .

158- المسعودي، مروج الذهب،8 /63.

159- أنظر: سورديل،2 / 201و217 .

160- أنظر: سورديل،173 ، ياقوت الحموي، معجم البلدان،2 /742.

161- هكذا كلف أبو أيوب بترميم واحد من الأحياء الأربعة في المدينة المدورة(الجهشياري،100 /106، أنظر،Y'aqubi-wiet, 29 ، وبدون شك كان يملك فيه تنازلا نزع منه بعد سقوطه.- وكان الربيع قد رمم حين(الجهشياري، نفسه.وانظر Y'aqubi-wiet,27، وكان يملك فيهما إقطاعا(نفسه،27)، حيث أقام أسواقا ومحلات تجارية في واحد منهما، وأقام هو في الاخر الذي كان قرب إقامة المهدي (نفسه،37)- ونال خالد بن برمك إقطاعا من المهدي في حي باب الشماسية حيث هناك سويقة ظلت تعرف باسمه(الجهشياري،189 /224، أنظر: Y'aqubi-wiet, 41-وحصل ابن الزيات في بغداد على حي قنطرة المعبدي (في الضفة الغربية) حيث حولها الى بستان(ياقوت الحموي، البلدان،4 /191).

162- هكذا حصل ابن الزيات على تنازله في سامرا،(Y'aqubi-Wiet,54)، وكذلك الوزراء السابقون أمثال الفضل بن مروان أو الحسن بن سهل(نفسه،51)- نشير هنا إلى تنازل أحمد بن إسرائيل(نفسه،59) وقصر احمد بن الخصيب المنيف حقا(أنظر: سورديل،2 /652و Yaqubi-Wiet, 54).